مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية
العدد 8 كانون 2 2024
January 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 8
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

منهج هوسرل الفينومينولوجي

م. م. مرتجى جياد عباس البرقعاوي
كلية القانون – جامعة الكوفة
Mortajaj.barqawe@uokufa.edu.iq

الملخص

إن البحث يسلط الضوء على المنهج الفينومينولوجي عند الفيلسوف "إدموند هوسرل" من خلال تقصي مفهوم الظاهراتية أو الفينومينولوجيا، وهي المدرسة الفلسفية التي تعتمد على دراسة الموضوعية أو الواقع كما يعاش ويختبر بشكل ذاتي، وهي كذلك الخبرة الحدسية للظواهر على اعتبارها نقطة بداية ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها، ومراحل تطور المصطلح عند "إدموند هوسرل"، ومراحل منهجه الفينومينولوجي.

كلمات مفتاحية: هوسرل، فينومينولوجيا، ظاهراتية، منهج فينومينولوجي.

Husserl's phenomenological method

Murtaja Chyad Abbas Albarqa'awee
College of Law - University of Kufa

Abstract

The research sheds light on the phenomenological approach of the philosopher "Edmund Husserl" by investigating the concept of phenomenology, which is the philosophical school that relies on the study of objectivity or reality as it is lived and experienced subjectively, and it is also the intuitive experience of phenomena as a starting point, then proceeds from this experience to analyze the phenomenon and the basis of our knowledge of it, and the stages of the development of the term according to "Edmund Husserl", and the stages of his phenomenological approach.

Keywords: Husserl, phenomenology, phenomenology, phenomenological approach.

المقدمة

يعد المنهج الفينومينولوجي من المناهج الفلسفية المهمة في فلسفة العلم ونظرية المعرفة، ذلك أنها ساعدت في تطور العلم، من جهة، وساعدت على فهم الإنسان لآليات اكتسابه المعرفة، وعلى الرغم من أن فلسفة "إيمانويل كانت" علامة فارقة في نظرية المعرفة، وأنها وضعت حجر الأساس لأسلوب جديد من تقصي المفاهيم، إلا أن "إدموند هوسرل"، إضافة نوعية في هذه النظرية، وقدم منهجاً فلسفياً متكاملاً، استفيد منه في كثير من الفلسفات اللاحقة.

وتنطلق إشكالية الدراسة من تساؤل مفاده: "طبيعة منهج العالم إدموند هوسرل الفينومينولوجي"، وينبثق من هذا التساؤل ما يأتي:

1- ما هو أصل مفهوم مصطلح الفينومينولوجيا؟

2- ما هي أركان منهج هوسرل الفينومينولوجي ومراحل تطوره وخطواته؟

وقد اعتمدت الدراسة على منهج البحث الوصفي والتحليلي، وقد قسمت الدراسة إلى مبحثين، هما: الأول يبحث في أصل مفهوم مصطلح الفينومينولوجيا، أما المبحث الثاني فيستقصي أركان منهج هوسرل الفينومينولوجي ومراحل تطوره وخطواته.

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المهمة التي درست هذا المجال المعرفي منها دراسة للباحثة "سماح رافع محمد" بعنوان: "الفينومينولوجيا عند هوسرل – دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر"، ودراسة للدكتور "محمد بن سباع" بعنوان: "المنهج الفينومينولوجي المبادئ والتطبيقات"، فضلاً عن مصادر أخرى مهمة في هذا المجال.

المبحث الأول
مفهوم الفينومينولوجيا

إن الفينومينولوجيا أو الظاهراتية هي منهج فلسفي ظهر على يد الفيلسوف الألماني ومؤسس الظاهريات "إدموند هوسرل"، وقد استعمل هذا اللفظ وأصبح يصطلح على منهجه بالمنهج الفينومينولوجي في الفلسفة، ولتسليط الضوء على الفينومينولوجيا لا بد من الحديث عن معناه اللغوي والاصطلاحي، ثم الحديث عن جذورها الفلسفية عند الفلسفات التي سبقت "إدموند هوسرل".

المطلب الأول: الفينومينولوجيا لغة واصطلاحاً

إن مصطلح "الفينومينولوجيا" (Phenomenology)، مشتقة من مقطعين، هما: "الظاهرة" (Phenomena)، و"الدراسة العلمية لمجال ما" (Logy)، فيكون معنى الكلمة المتكونة من المقطعين، العلم الذي يدرس الظواهر، وقد أطلق على الفينومينولوجيا باللغة العربية لفظ الظاهراتية[1].

والظاهر من ظَهَرَ وهو "خلاف الباطن... وظهر ظهورا، تبين"[2]، أي "تبين وبرز بعد الخفاء، والظاهر من الشيء أعلاه أو ما يبدو منه للإدراك"[3]، والظاهرة في اللغة العربية لفظ مؤنث ما يظهر من الشيء أي ظهره وظاهره على الضد من الباطن أي بطنه[4].

والظاهرة لها عدة معاني تطلق عليها في الفلسفة "1- فالظاهرة هي الواقع الخارجي المؤثر في الحواس، كالظواهر الفيزيائية والكيميائية، والحيوية، والفلكية. 2- الظاهرة هي الواقع النفسي المدرك بالشعور، كالظواهر الانفعالية والعقلية والإرادية. 3- وتطلق الظاهرة أيضاً على كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية أو على المعطيات التجريبية المباشرة من جهة ما هي مستقلة عن المدرك. 4- وللظاهرة عند كانت معنى خاص، وهو اطلاقها على موضوع كل تجربة ممكنة، أي على كل ما يحدث في الزمان والمكان، وتتجلى فيه العلاقات التي تحددها المقولات العقلية، فالظاهرة عنده مقابلة للمادة المحضة من جهة، وللشيء بذاته من جهة أخرى. 5- والظاهرة عند المحدثين هي الأمر ينجم بين الناس، يقال بدت ظاهرة الاهتمام بالصناعة" [5]، إلا أن الفينومينولوجيا أو الظاهراتية كمنهج عند فلاسفة القرن العشرين ولا سيما عند "إدموند هوسرل" لا تذهب إلى كل هذه المعاني، بل أن الظاهرة هي ما يظهر أمام الوعي، فالفينومينولوجيا هي "التحليل الوصفي للماهيات بوجه عام"[6].

المطلب الثاني: جذور الفينومينولوجيا الفلسفية

إن الحديث عن جذور الفينومينولوجيا أو الظاهراتية يقود إلى الحديث عن الظاهرة في الفلسفة، وعن المبادئ التي يعنيها هذا اللفظ عند الفلاسفة والتحولات الدلالية التي مر به، فلم تكن الفينومينولوجيا كلفظ اختص به "إدموند هوسرل" أو استحدثه دون غيره من الفلاسفة، بل يرجع استخدام هذا اللفظ إلى فلاسفة قبله، بل أن الفينومينا أو الظاهر تتعلق بنظرية المعرفة عند الفلاسفة بشكل كبير.

حيث كانت كلمة الظاهر في الفلسفة اليونانية تعني الموضوعات الجزئية الحسية المتغيرة في مقابل الكليات العقلية الثابتة أي الماهيات، لذلك فأن المعرفة الظاهرية بهذا المعنى للظواهر مقابل الماهيات في العصر اليوناني تعبر عن معرفة غير صحيحة، وليست يقينية لأنها تعتمد في عملية الإدراك على الحواس، على العكس من المعرفة القائمة على الماهيات الكلية الثابتة، التي تعتمد على العقل وبديهياته

---

(1) ينظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص400؛ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص30.

(2) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، ج1، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص434.

(3) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ج2، دار الدعوة، القاهرة، 1932، ص584.

(4) ينظر: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الانصاري الروفيعي الإفريقي أبن منظور، لسان العرب، ج4، ط3، دار صادر، بيروت، 2024، ص٥٢٢ – 524.

(5) جميل صليبا، المرجع السابق، ص30.

(6) تد هونرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، ج2، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، 2021، ص992.

اليقينية. لكن تغير هذا المعنى في العصر الحديث خاصة بعد تقدم العلم التجريبي، حيث أصبحت الظواهر هي الموضوع الحقيقي للإدراك والمعرفة عند عدد كبير من الفلاسفة، لا سيما الفلاسفة التجريبيين[1].

وقد تطور هذا المفهوم عند الفلاسفة، فتكون المذهب الظاهري، الذي يذهب إلى أنه لا توجد معرفة اطلاقاً إلا بواسطة الظواهر، وأن الإدراك لا يمكن أن يتم الا بالاعتماد على ما يظهر من الأشياء فقط دون باطنها الخفي أو جوهرها[2].

كما لا بد من الإشارة إلى أن مصطلح فينومينولوجيا لم يستخدمه "إدموند هوسرل" فقط، بل سبقه إلى هذا المصطلح عدد من الفلاسفة منهم عالم الرياضيات والفيزياء السويسري "يوهان هاينغيش لامبرت" خلال الأعوام (1728 – 1777)، وذلك في كتابه "الأورجانون الجديد" الذي ظهر عام 1764، إذ أعطى لمصطلح الفينومينولوجيا معنى علم الظاهر أو فقه الظاهر، معتبراً الفينومينولوجيا "الأورجانون الجديد" يميز الحق من الخطأ، الأمر الذي أسهم في محاولة حل مشاكل الميتافيزيقا فيما بعد، لا سيما عند الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" خلال الأعوام (1724 – 1804) في موضوع علاقة الحاسة بالعقل المحض، فقد استخدم "إيمانويل كانط" مصطلح الفينومينولوجيا في كتاب المبادئ الميتافيزيقية الأولى لعلم الطبيعة، وكتاب نقد العقل المحض، الذي فرق فيه بين الظاهرة والظاهر، وهذا يعتبر تطوراً في مفهوم اللفظ من خلال اتخاذه معنا نقدياً[3].

فضلاً عن الفيلسوف الألماني "جورج فيلهلم هيغل" خلال الأعوام (1770 – 1831)، والعالم الايرلندي "ويليام روان هاميلتون" خلال الأعوام (1805 – 1865) أيضاً استخدم لفظ الفينومينولوجيا فـ"جورج فيلهلم هيغل" استخدمها "بمعنى مخالف ويطلقها على واحد من أهم مؤلفاته الفلسفية هو (فينومينولوجيا الروح) عام 1807، ثم استخدمها بعد ذلك "ويليام روان هاميلتون" عام 1858 في محاضراته عن علم النفس والمنطق والميتافيزيقا، وقد وردت الكلمة عنواناً من كتب "ويليام روان هاميلتون" هو (فينومينولوجيا الضمير الأخلاقي) عام 1869، أيضاً ووردت نفس الكلمة في أواخر القرن التاسع عشر في نصين فرنسيين لدى رافيسون وآميل"[4][5][6][7].

لذا نجد أن الفينومينولوجيا لفظ استخدم في الفلسفة قبل "إدموند هوسرل" لا سيما في الفلسفة الغربية الحديثة، إلا أن استخدام هذا اللفظ لدى الفلاسفة السابقين على "إدموند هوسرل" كان بمعاني واستخدامات تختلف عما ذهب إليه كما سيأتي.

إذ أن "إيمانويل كانط" كان قد ذكر الفينومينولوجيا في كتابه بعنوان: "المبادئ الميتافيزيقية الأولى للعلم الطبيعي"، وكان يعني بها دراسة الحركة من منظور المراقب، فيما كان معنى الظاهرة حاضراً في كتابه بعنوان: "نقد العقل المحض"، لكن لم يطلق عليها فينومينولوجيا في التحليلات الترسندالية، والتي اقترب "إدموند هوسرل" منها في تحليلاته للمنهج الفينومينولوجي، حيث ناقش "إيمانويل كانط" فيها تحليل المفاهيم وعلاقتها بالأشياء باعتبارها موضوعات قبلية لها علاقة بالوعي فيقول: "إن التجربة تعطي

---

(1) ينظر: سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل – دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1991، ص53 .

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص54؛ جميل صليبا، المرجع السابق، ص30؛ مراد وهبة، المرجع السابق، ص401.

(3) ينظر: محمد بن سباع، المنهج الفينومينولوجي المبادئ والتطبيقات، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأخوة منتوري قسطنطينة، الجزائر، المجلد 1، العدد 42، 2014، ص143 – 164.

(4) سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص57.

(5) يبدو أن المؤلف قد غاب عنه أو وقع في اشتباه بخصوص الفيلسوف "هاملتون"، حيث أن سنة وفاته هي عام 1856، بينما اثبت له محاضرات عام 1858، وقد أوردناها في النص المقتبس من المؤلف كما هو . ينظر: المصدر نفسه، ص57؛ رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج3، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2015، ص596.

(6) رافسون: فيلسوف فرنسي ولد عام 1813، وتوفي عام 1900، له مؤلفات في الفلسفة والميتافيزيقا والأخلاق. ينظر: رحيم أبو رغيف الموسوي، المرجع السابق، ج2، ص14.

(7) لا نعلم هل المقصود هو الفيلسوف الفرنسي أميل بريه، أم الفيلسوف الفرنسي أميل تشارتير، حيث ولد الأول عام 1876، وتوفي عام 1952، فيما ولد الثاني 1868، وتوفي عام 1951. والاثنان فيلسوفان فرنسيان، إلا أن الأول كان من أوائل اتباع برجسون، وهو الشخصية الهامة الفرنسية الوحيدة التي تعتنق تفسيراً هيجلياً للأفلاطونية الحديثة، ما يجعلها اقرب لأن تكون هي المعنية.

باستمرار أمثلة على موافقة الظاهرات للقواعد تتيح لنا فرصة كافية لاستخراج افهوم السبب والتحقق في الوقت نفسه من المصداقية والموضوعية"[1]، أي أن ظواهر الاشياء ينتج عنها عند أدراكها بالتجربة قواعد أو مفاهيم في العقل أو الوعي قبلية تنطبق على كل الأشياء كالسببية، وغيرها من المقولات. وعلى هذا فان "إيمانويل كانط" قد مهد الطريق لـ"إدموند هوسرل" فيما بعد أن يشتغل في نظرية المعرفة في الظواهر ومكانتها من الوعي[2].

المبحث الثاني
المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل

إذا كان مصطلح الفينومينولوجيا مستخدماً قبل "إدموند هوسرل"، عند فلاسفة منذُ "يوهان هاينغيش لامبرت"، و"إيمانويل كانط"، "جورج فيلهلم هيغل"، و"ويليام روان هاميلتون"، فما الذي إضافة "إدموند هوسرل" لتكون الفينومينولوجيا منهجاً ينسب إليه، ثم هل أن هذا المنهج ظهر لدى "إدموند هوسرل" مكتملاً منذُ بدايته أم أنه تطور لديه من خلال كتاباته شيئا فشيئا.

المطلب الأول: التعريف بالمنهج الفينومينولوجي عند هوسرل

لقد عرف "إدموند هوسرل" الفينومينولوجيا عدة تعريفات توزعت في كتبه، والناظر إلى تلك التعريفات للوهلة الأولى يجدها مختلفة إلا أنها في الحقيقة متسقة إذا ما رتبت وفقاً لخصائص المنهج الفينومينولوجي نفسه ومكملة بعضها لبعض، "تبدأ تعريفات هوسرل للفينومينولوجيا بتعريف أولي عام، ثم تتخصص في تعريفات أخرى فرعية داخلية تعتبر توضيحاً لمضمون التعريف الأول"[3]. ومن هذه التعريفات[4]:

1- الفينومينولوجيا هي: "العلم الكلي لكل المعرفة الإنسانية ولكل العلوم الممكنة، وأنها أسبق من شتى المعارف والعلوم الأخرى وهي المنبع الذي يجب أن تنبثق منه كل هذه المعارف والعلوم، والتي لا بد أن تستمد شرعية وجودها من الفينومينولوجيا باعتبارها الفلسفة الأولى لكل المعارف الممكنة، وهي العلم الدقيق الذي سيصبح معياراً لبقية العلوم الأخرى"[5].

2- أنها علم البدايات الصحيحة، "أن تأسيس العلم الكلي الدقيق يحتاج إلى نقطة انطلاق يقينية، وأن البرهان على إمكانية قيام هذا العلم وتحقيقه عملياً ليس شيئاً آخر غير إيجاد نقطة بداية ضرورية وغير قابلة للشك" هذا ما قاله "إدموند هوسرل" في كتابه التأملات[6] .

3- أنها علم وصفي للشعور، يقول "إدموند هوسرل": "الفينومينولوجيا من هذه الحقيقة، تعتبر نظاماً خالصاً يدرس المجال الكلي للشهور المتعالي في ضوء الحدس الخالص"، ويقول: "الفينومينولوجيا تأسست باعتبارها نظرية وصفية خالصة للطبيعة الماهوية المتعلقة بالمكونات الداخلية للشعور"[7] .

4- أنها علم الماهيات؛ "حيث يقول هوسرل نفسه أن عملية إدراك الماهيات تمثل جوهر الفينومينولوجيا، وقد أفرد لفلسفته بهذا المعنى المحاضرة الثالثة من سلسلة محاضراته التي نشرت تحت عنوان فكرة الفينومينولوجيا، وكان عنوان هذه المحاضرة المعرفة الفينومينولوجية باعتبارها معرفة للماهيات"[8]، وهو لا يعرف الفينومينولوجيا أو علم الظواهر بأنه: "تحصيل معلومات جديدة تضاف إلى

---

(1) إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص96.
(2) ينظر: سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص58.
(3) المرجع نفسه، ص92.
(4) وجد الباحث أن هذه التعريفات وأن كانت موجودة في المعاجم الفلسفية والموسوعات كموسوعة لالاند، ودائرة المعارف البريطانية، وفي مؤلفات "إدموند هوسرل" المترجمة، والدراسات عن الفينومينولوجيا وعن الفيلسوف "إدموند هوسرل"، إلا أنها ليست مجموعة ومرتبة بهذا الترتيب الذي افاده الباحث من كتاب "الفينومينولوجيا عند هوسرل – دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر" للمؤلف سماح رافع محمد، والذي قدم فيه التعاريف بنسق علمي متكامل مرتبط بالنسق الفينومينولوجي عند "إدموند هوسرل". للمزيد من التفصيل عن تعريف الفينومينولوجيا عند "إدموند هوسرل" ينظر: سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص91 – 98.
(5) المرجع نفسه، ص93.
(6) المرجع نفسه، ص94.
(7) المرجع نفسه، ص95.
(8) المصدر نفسه، ص96.

المعلومات السابقة؛ بل يعرفه بأنه تعديل في وجهات النظر، أو أنه توجيه ملاحظاتنا التي تنصرف عن الحقائق التجريبية نحو هذه الخاصية، وهي أنها موضوع للتجريب"[1].

5- الفينومينولوجيا منهج ومذهب فلسفي في آن واحد "المنهج الفينومينولوجي يتمثل في الجهد المستمر والمعاناة الدائبة لحدس الماهيات وتأسيس العلم الكلي، أما المذهب الفينومينولوجي فيتمثل في مباحث هوسرل عن الذاتية الخالصة والانا المتعالي والتجارب المرتبطة به، وهي الميدان الأساس الذي يتم فيه حدس الماهيات والذي سيقيم عليه هوسرل العلم الكلي اليقيني"[2] .

إن تعريف الفينومينولوجيا وأن تعددت الفاظه عند الفيلسوف نفسه، إلا أنه في كل واحد منها، إنما يعبر عن حالة من حالات الفينومينولوجيا، أو مرحلة من مراحله، وحين الجمع بين هذه التعريفات نجد أنها تصب كلها في أن الفينومينولوجيا مذهب فلسفي ومنهج علمي يهدف إلى العلم الكلي والأساس لكل العلوم من خلال وصف الشعور في الانا المتعالي من ثم العلم بالماهيات التي هي أساس العلم.

المطلب الثاني: مراحل تطور المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل

مر المنهج الفينومينولوجي عند "إدموند هوسرل" بمراحل تطور ثلاث، وأن لم يكتمل في النهاية كما وعد بذلك "إدموند هوسرل": "فأنه لم ينشر ما وعد به من تكملة للمجلد الأول من كتابه، الآراء الموجهة في علم الظواهر البحت، وهو المجلد الذي نشر في عام 1913، وترجمه إلى الفرنسية م. ريكور، ترجمة موفقة، أما المخطوطات العديدة المودعة بمكتبة جامعة لوفان، والتي ربما كانت تحتوي على بعض الايضاح، فأن جزءاً كبيراً منها لم ينشر"[3].

وهذه المراحل الثلاث التي مر بها المنهج الفينومينولوجي عند "إدموند هوسرل" هي "(أ) مرحلة الرد السيكولوجي (Psychlogism)، (ب) مرحلة وصف الظواهر (Descriptive Phenomenoligy)، (ج) المرحلة الترنسندنتالية للظواهر (Transcendental Phenomenology)"[4].

ولعل هذه المراحل الثلاث قد تأثرت أصلاً بأعماله الأولى في علم النفس والمنطق، فقد "اهتمت أعماله المبكرة ... بالنفسانية، محاولة تأسيس المنطق والحساب على علم النفس"[5]، ثم تطورت الى مرحلة وصف الظواهر، ومن ثم إلى الانا المتعالي ووعي الظواهر.

أ- مرحلة الرد السيكولوجي

حاول "إدموند هوسرل" في هذه المرحلة تعميق الاتجاه الذي ساد من قبل في القرن التاسع عشر والذي كان هدفه رد التصورات الأساسية لعلوم المنطق والرياضيات ونظريات المعرفة الى تصورات نفسية، إلا أنه تراجع فيما بعد عن ذلك، ثم ما لبث أن آمن بأن الرد السيكولوجي يحيل قوانين الرياضيات والمنطق احتمالية لاعتمادها على عمليات عقلية، لكنه اقتنع حينذاك أن تلك القوانين صادقة دائماً وقبلية لا يعتمد صدقها على عمليات عقلية فهو في هذه المرحلة تأثر برد عميد عالم الرياضيات الألماني "فريدريش فريجه" إلى المنطق، وبعلم النفس عند "لوليم جيمس"[6]، فإذا لاحظنا عملية التوقف عن الحكم التي سوف نتحدث عنها، وهي أولى خطوات المنهج الفينومينولوجي، واستخدامه للوعي نجد تأثرها الكبير بعلمي المنطق والسيكولوجيا.

ب- مرحلة وصف الظواهر

هذه المرحلة هي التطور أو الأساس أن صح التعبير للمنهج الفينومينولوجي، "إذ تعبر عن مرحلة الوقوف عند وصف الظواهر كما تبدو في الإدراك المباشر وصفا بحتاً، لا تدخل فيه أحكام سابقة أو فروض فيزيائية اتو سيكولوجية، ويبرز في هذا الوصف بحث في الخصائص الأساسية للظواهر موضوع

---

(1) أميل بريه، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة محمود قاسم، مراجعة: محمد القصاص، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، الإسكندرية، 1998، ص31.

(2) سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص98.

(3) أميل بريه، المرجع السابق، ص30.

(4) محمود زيدان ، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1977، ص70.

(5) تد هوندرتش، المرجع السابق، ص991.

(6) ينظر: حمود زيدان، المرجع السابق، ص71.

الدراسة"[1] فمهمة الفينومينولوجيا باعتبارها علماً كلياً لا يمكن أن نتوصل إليه إلا بدراسة وصفية للشعور وهو إدراك الماهيات، وهذا لا يتم بالمنهج التجريبي ، وإنما من خلال الفلسفة الفينومينولوجية ، وأن وصف الظواهر تعد مرحلة تأسيس مهمة في المنهج الفينومينولوجي[2].

ويسمي "إدموند هوسرل" الخصائص الأساسية للأشياء المدركة الماهيات، فإذا كانت الظواهر تصورات رياضية أو منطقية كالعدد والوحدة والكثرة والعلاقة والحكم والقضية والصدق والكذب وغيرها، فان وصفها هو بحث في ماهياتها واكتشاف معانيها وخصائصها القبلية، وقد استخدم "إدموند هوسرل" لذلك علم النفس الوصفي في هذه المرحلة، وهو بحث ابستمولوجي لتوضيح تلك التصورات أو الظواهر الرياضية والمنطقية وعلاقتها بالعمليات الفكرية وكتابه الأبحاث المنطقية يعبر عن هذه المرحلة[3].

ت- المرحلة الترنسندنتالية للظواهر

تعد هذه المرحلة هي التطور في المنهج الفينومينولوجي، فإذا كانت المرحلة الثانية هي وصف الظواهر فأن هذه المرحلة تعدت ذلك إلى تفسير الظواهر، كما أنها مرحلة تجاوزت فيها البحث في الرياضيات والمنطق الى البحث الفلسفي في الذات أو الشعور وأفعاله العقلية ومحتوياتها، فضلاً عن تجاوز التجربة الذاتية والتأثيرات التجريبية للظواهر، فهي مرحلة تعالي للفينومينولوجيا عن التجربة والتأثيرات التي تتعلق بالماهيات في (الأفكار) والماهيات في (التفكير)[4].

ويعتبر كتاب "الأفكار في علم الظواهر الخالص" هو الشروع في البدء بهذه المرحلة، وقد اختلف الدارسين لـ"إدموند هوسرل" في وصف هذه المرحلة وعلاقتها بالمرحلة السابقة لها، أي مرحلة وصف الظواهر بالمرحلة الترنسندنتالية للظواهر، فمنهم من ذهب الى تعارض هاتين المرحلتين، ومنهم من رأى أنهما متصلتان، وأن الأخيرة تطوير لما قبلها[5].

ويرى الدكتور "محمود زيدان" أن المرحلة الثانية هي "أصدق تعبير عن المنهج الظاهراتي"، ويستدل على ذلك بأن المرحلة الثانية تكمن فيها بذور المرحلة الأخيرة، كما أنه عدل فيها من آرائه المنطقية التي وجدت في المرحلة الأولى، وبما يتلاءم مع المرحلة الأخيرة، لا سيما في كتاب "الأبحاث المنطقية"، فضلاً عن كتابه الأفكار وهو أول كتاب في المرحلة الأخيرة لا يزال يستخدم فيه "إدموند هوسرل" علم النفس الوصفي وعلم الماهيات، بل أن المرحلة الثانية أو ما يسميه بالرد الماهوي أو المنهج الوصفي، أي باعتباره منهجاً، بينما المرحلة الأخيرة فهي تطبيق لذلك المنهج أو تعبير عن فلسفته التي هي ما يسميه المنهج الترنسندنتالي أو الرد الترنسندنتالي، لذا فمن المهم الاقتصار بحسب رأي الدكتور "محمود زيدان" على المرحلة الثانية في دراسة المنهج الفينومينولوجي باعتباره ممثلاً عن المنهج الذي أراده "إدموند هوسرل"[6].

---

[1] محمود زيدان، المرجع السابق، ص71.
[2] ينظر: سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص127.
[3] ينظر: محمود زيدان، المرجع السابق، ص71.
[4] ينظر: إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص188.
[5] ينظر: محمود زيدان، المرجع، ص72.
[6] ينظر: المصدر نفسه، ص72، 73.

المطلب الثالث: خطوات المنهج الفينومينولوجي

للمنهج الفينومينولوجي خطوات مهمة، فهو يختلف عن باقي المناهج العقلية والتجريبية، بل يلتمس منها بعض المعطيات ، فليس هو منهج للشك مثل الكوجيكتو الديكارتي، كما أنه ليس نقدا للعقل المحض كما عند "إيمانويل كانط"، بل هو الاتجاه الشعوري الوصفي للوعي بادراك الماهيات، ومن هنا سوف نتابع خطوات المنهج الفينومينولوجي وكيف يصل إلى الماهيات.

1. التوقف عن الحكم أو الاختزال

يبدأ المنهج الفينومينولوجي من أجل الوصول إلى الماهية "تعليق الحكم وهو ما يسميه هوسرل بالاسم اليوناني (epoche) أي التوقف الحرفياً، والذي يعنيه هذا هو أن الفينومينولوجيا تضع بين أقواس عناصر معينة في المعطى، هي العناصر التي لا تهتم بها"[1].

والمعطى هو حجر الأساس للمنهج الفينومينولوجي فهو يعني ما يظهر أمام الوعي، أي الظاهرة، ولم يفرق "إدموند هوسرل" بين الظاهرة كما تبدو لنا، وبين الظاهرة التي يوجد خلفها جانب باطن خفي، كما فرق من قبل :"إيمانويل كانط"، بل ذهب "إدموند هوسرل" إلى أن ظاهر الشيء هو الشيء نفسه دون أن يكون خلفه باطن خفي غير مدرك، إلا أنه فرق بين الأشياء كما هي موجودة في العالم الخارجي، وبين الأشياء باعتبارها مدركة بواسطتنا وقائمة في شعورنا من جهة أخرى[2].

فإذا ما نظرنا إلى المعطى يجب أن نوقف كل الأحكام الحسية التجريبية، وكل الأحكام القبلية، ونضع بين الأقواس مجموعة من العناصر، لذلك المعطى ثم نختزل تلك العناصر، ولا نهتم بها، لنحصل على ماهية ذلك المعطى[3].

وهناك ثلاث أنواع من الاختزال يميز بينها "إدموند هوسرل" هي التوقف التاريخي، والاختزال الماهوي، والاختزال الترنسندنتالي، "فالتوقف التاريخي عن الحكم يفعل أول ما يفعل أن يغض الطرف عن سائر المذاهب الفلسفية وكأنها غير موجودة، لأن الفينومينولوجيا لا تهتم بآراء الآخرين، بل تتجه إلى الأشياء بذاتها"[4].

أما النوع الثاني من الاختزال فهو الاختزال الماهوي، وهو الذي "يضع الوجود الفردي للموضوع موضع الدراسة بين أقواس، أي يبعده هو الآخر عن التداخل في شأن البحث، لأن الفينومينولوجيا لا تهدف إلا إلى الماهية"[5]. فمثلاً يسقط "إدموند هوسرل" الزمن الموضوعي يقول في ذلك: "إن نسقط تام الاسقاط كل ضروب فرض وجود الزمن الموضوعي، أو اثباته أو الإيمان به، أي اسقاط كل مقدمة ذات تعلق بالوجود المفارق لشيء من الأشياء"[6]، إذ نسقط الزمن كما نسقط المكان أيضاً، ويتضح ذلك "بأن ظهور الشيء ليس بذي موضع في المكان البتة، وليس بذي علاقات مكانية أياً كانت"[7].

ومع إجراء هذا الاختزال لكل ما عدا الماهية "الذي يضع جانبا تفرد الموضوع ووجوده، يكون قد تم الانحاء جانباً لكل العلوم الطبيعية والعلوم العقلية، بتجارب هذه وفروض تلك على السواء، بل أن الإله نفسه باعتباره منبع الوجود ومصدره، يوضع أيضا بين قوسين، ويخضع لنفس معاملة المنطق وسائر العلوم الماهوية الأخرى، أن الفينومينولوجيا لا تدرس إلا الماهية الخالصة، وهي تستبعد سائر مصادر المعرفة الأخرى"[8].

أما النوع الثالث من الاختزال وهو الاختزال الترنسندنتالي، وهو نوع من الاختزال المتعالي، وهو تطبيق للمنهج الفينومينولوجي على الذات نفسها وعلى أفعالها، وهو ما سيتضح من خلال القصدية.

---

(1) إ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص186.
(2) ينظر: سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص136.
(3) ينظر: إ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص186.
(4) المرجع نفسه، ص186.
(5) إ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص187.
(6) إدموند هوسرل، دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني بالزمن، ترجمة : لطفي خير الله، منشورات الجمل، بيروت، 2009، ص8.
(7) المرجع نفسه، ص10.
(8) إ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص187.

2. القصدية أو الرد الماهوي

الخطوة الثانية في الرد الماهوي حيث "يحصل التأمل الحدسي في معطى ضمن تعقل المعيش المقصود، وفي أنا ظاهرة هذا التعقل فننتقل هنا من العالم الى الوعي"[1]، إذ يقول "إدموند هوسرل" بأن: "تخترق الحياة كلها وحدة للتأليف الأنوي، تأليف كل الأفعال في حركة التشطيبات المنتمية إليها، أنها كلها مترابطة بصفتها افعالي أنا، أن الافعال وهي تغوص ثم بعد أن أصبحت أخيراً غائصة وصارت لا واعية، تبقى افعالي، أو صلاحياتي ، لكن في كيفية معدلة للصلاحية المترسبة وللتحولات المحتملة في مضامين تمثلها، وطبعاً بشرط أنها لم تفقد استمرار صلاحيتها انطلاقاً من الأنا"[2].

ولمعرفة كيف وصل "إدموند هوسرل" إلى القصدية لا بد من معرفة الأساس الذي اعتمد عليه أو استقى هذه القصدية منه "كان هوسرل قد رأى، من قبل تقديمه لهذه النظرية الجديدة، أن ميدان الفينومينولوجيا ينبغي أن يتكون من مناطق مختلفة في الوجود. أحد هذه المناطق هو (الوعي الخالص)، وهو منطقة متميزة من مناطق الوجود. والطريق الى هذا الوعي الخالص يكون باستخدام ذلك المفهوم ذي الأهمية العظمى، إلا وهو مفهوم القصدية، الذي تلقاه هوسرل من برنتانو، وبشكل غير مباشر من فلسفة العصر الوسيط المسيحي"[3].

والذي يعنيه "إدموند هوسرل" بالقصدية أن خبراتنا يوجد منها ما يتعلق بالمواضيع، أي خبرة بموضوع، هذه الخبرات هي خبرات قصدية، يقول "إدموند هوسرل" بأن: "نفرق بين المعاييش كلها التي كنا قد وسمناها في الابحاث المنطقية بالمحتوى الأول، من المعاييش ، أو من إجزاء في المعيش ذات اشتمال على خاصة القصدية. القسم الأول هو يشتمل على معاييش حسية هي واحدة، لأنها تندرج تحت جنسها الأعلى، فالمحتويات الحسية ، مثل: معطيات اللون ، أو معطيات اللمس، أو معطيات الصوت، إلى غير ذلك التي هو ظاهر فيها أنها هي ليست نفس صفات الأشياء التي تظهر موصوفة بصفة اللون، وبصفة الخشن، إلى غير ذلك فإنما تتخلق تخلقا معيشا بواسطة تلك المعطيات الأولى، والأمر هو أيضاً في أحساسات اللذة والألم والقشعريرة إلى غير ذلك، وفي الأحوال الحسية الانفعالية، فالمعاييش المتعينة تلك أنما هي جزء من قسم أكبر من المعاييش المتعينة، وهذه المعاييش كلها أنما هي ذوات قصدية على معنى أنه مع الأحوال الحسية تلك فهو يلفى أيضاً معنى يمكن أن يقال فيه بأنه شأنه أن ينفث الروح في تلك الأحوال الحسية، وأن يعطيها معنى، أو قد نقول بأن ذلك المعنى هو يقتضي اقتضاء ضرورياً فعل أن يعطي معنى؛ فبان إذا أن المعيش القصدي المتعين إنما هو يتحصل موجوداً بواسطة ذلك المعنى، وأن مادته إنما تكون ذلك الجزء الحسي الذي هو بالذات ليس بقصدي"[4].

وبعبارة أخرى يمكن تفسير ذلك بالقول أننا "لا ننظر في الخبرة ذاتها إلا إلى فعلها الخالص، الذي يبدو في كلمات بسيطة، أنه العلاقة القصدية بين الوعي الخالص والموضوع القصدي، وعلى هذا النحو تظهر الحقيقة كلها على أنها تيار من الخبرات باعتبارها أفعالاً خالصة للوعي، وينبغي أن نؤكد بشدة على أن هذا التيار، من حيث هو ، ليس أمراً نفسياً، إنما نحن نتناول هنا وحسب بنيات وتكوينات نموذجية خالصة، أذن، فالوعي الخالص (الذي يسمى كوجيتو حين يتحقق ويعمل بالفعل) ليس ذاتاً حقيقية، وما أفعاله إلا علاقات قصدية، ويختزل الموضوع إلى أن يصبح مجرد معطى إلى هذه الذات المنطقية"[5].

ثم يميز "إدموند هوسرل" بين نوعين من أو تيارين من الخبرات المثالية بين ما هو هيولى أي مادي محسوس وبين ما هو صورة أو الهيئة المقصود إليها، يطلق على الجهة التي تهب تلك الصور لمادة

---

(1) محمد بن سباعالمرجع السابق، ص151.

(2) إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص461.

(3) إ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص187.

(4) إدموند هوسرل، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهرياتية، تعريب: أبو يعرب المرزوقي، جداول للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011، ص6.

(5) إ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص188.

التجارب القصدية اسم "التفكير" (Noesis)، وعلى مجموع المعطيات القائمة في الإدراك الخالص اسم (Noema)، فيميز بين إدراك الشيء المادي، وبين الإدراك من حيث هو محض إدراك[1].

ذلك لكي يكون بالاستطاعة التحدث عن المضمون الشعوري لهذا الموقف دون الحاجة لمناقشة مشكلة وجود أو عدم وجود هذا الموضوع في عالم الواقع الخارجي، وإنما التحدث عن المضمون الشعوري هنا باعتباره صوراً عقلية وماهيات حية تنتمي إلى الشعور الداخلي، فضلاً عن التمييز بين عمليات الإدراك والمشاهدة والتمتع وغيرها من أفعال الذات التي ينصب عليها انتباهها[2].

ومن خلال ذاك تظهر الذات مربوطة ربطاً جوهرياً الى الموضوع، كما يظهر الموضوع معطى جوهريا إلى الذات الخالصة، فاظاهرة هي قصد ما أو وعي من حيث المبدأ[3].

3. الرد الترنسندنتالي

مر في القصدية أو الرد الماهوي كيف أن الأشياء يكون تجاهها قصد للوعي فتتعلق الذات بالمعطى، والمعطى بالذات، في عملية قصدية ماهوية أساسها الشعور ، ويرى "إدموند هوسرل" أنه لكي يحصل على الظاهرة المحضة – التي هي الحقيقة – يتعين مرة أخرى وضع العالم والزمان والانا، موضع سؤال لاستخلاص الظاهرة المحضة، أي الفكر المحض، ففي هذه المرحلة يوضع الوعي وكل المراحل السابقة بين قوسين بهدف الوصول إلى الماهيات الخالصة للظواهر ومعاينة الانا المفكر ذاته، لأنه شرط معرفي سابق على أي فعل أو حكم أو خبرة ، وتكون النتيجة المتوصل إليها بعد كل عمليات التقويس، هي الانا المتعالي الخالص الذي يتأسس عليه العالم[4].

ومن هنا فان الخطوة الثالثة هي تطور للخطوة الثانية كما تقدم سابقا، فهذه الترنسدنتالية المتعالية "ترتكز أولاً وبالذات على النشاط الروحي للذات المفكرة، وتقرر أن أي معنى أو أي وجود سواء كان عالياً أو باطناً يكون جزءا لا يتجزأ من الذات الترنسنتالية التي تركب كل معنى وكل وجود، صحيح أننا نحاول إدراك عالم الوجود الحقيقي بوصفه شيئاً قائماً خارج عالم الوعي، والمعرفة، والبداهة، ولكننا نفترض أن العلاقة بين الوجود والوعي مجرد علاقة خارجية محضة تسند الى قانون صارم، وهذا محال؛ نظراً لأن كلا من الوجود والوعي من الارتباط بحيث أن الواحد منهما لا بد من أن ينتسب إلى الآخر، وأنه لا يمكن للواحد منهما أن يقوم دون الآخر، وما دامت الذات الترنسندنتالية هي عالم المعنى الممكن، فإن أي شيء خارج عنها لن يكون إلا مجرد لا معنى، وبالتالي فإن باستطاعتنا أن نوضح لا معقولية أو نحيل استحالته إلى بداهة واضحة بينة"[5].

الخاتمة

كانت هذه الدراسة هي لتسليط الضوء على المنهج الفينومينولوجي عند "إدموند هوسرل"، كونه منهج معاصر مهم في الدراسات الفلسفية، وقد حاول البحث أبانة أهم الفقرات المهمة في هذا المنهج، دون الغوص في تفاصيله الدقيقة، فضلاً عن التعرف على الفيلسوف نفسه وكيفية طرحه لهذا المنهج، وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج، وكما يأتي:

1. يعد الفيلسوف "إدموند هوسرل" هو واضع ومبتدع المنهج الفينومينولوجي الذي عده منهجا لكل العلوم، بل علما كلياً وأساسياً.
2. لم تكن لفظة الفينومينولوجيا غائبة عن الفلسفة والفلاسفة، بل سبق منهج "إدموند هوسرل" المنهج الظاهري، والذي ينظر إلى ظواهر الأشياء دون جواهرها وهو يختلف عن منهج "إدموند هوسرل".
3. يهتم المنهج الفينومينولوجي بالظاهرة باعتبارها اللبنة الأساسية للعلم.
4. الظاهرة في المنهج الفينومينولوجي هي الماهية المجردة للشيء المدرك بفعل قصدي.
5. خطوات المنهج الفينومينولوجي ثلاث خطوات هي التوقف عن الحكم، والرد الماهوي، والرد الترنسندنتالي.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص189.
[2] ينظر: سماح رافع محمد، المرجع السابق، ص142.
[3] ينظر: إ.م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص189.
[4] ينظر: محمد بن سباع، المرجع السابق، ص152.
[5] زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968، ص338.

6. مرت فلسفة هوسرل بثلاث مراحل مهمة، مرحلة اهتمامه بالسيكلوجيا، ومرحلة اهتمامه بالمنطق، والمرحلة الأخيرة المرحلة الترنسندنتالية.
7. استطاعت فلسفة "إدموند هوسرل" أن توجد منهجاً جديداً يستخدم المنطق السيكولوجيا في تحديد الماهيات المقدمة أمام العقل أو الوعي.
8. المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل تطور في الفلسفة النقدية والفلسفة الألمانية على حد سواء.

قائمة المصادر والمراجع

1- إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
2- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
3- إدموند هوسرل، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهرياتية، تعريب: أبو يعرب المرزوقي، جداول للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011.
4- إدموند هوسرل، دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني بالزمن، ترجمة : لطفي خير الله، منشورات الجمل، بيروت، 2009.
5- أميل بريه، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة محمود قاسم، مراجعة: محمد القصاص، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، الإسكندرية، 1998.
6- إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.
7- تد هونرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، ج2، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، 2021.
8- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
9- رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج3، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2015.
10- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968.

11- سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل – دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1991.
12- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، ج1، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.
13- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ج2، دار الدعوة، القاهرة، 1932.
14- محمد بن سباع، المنهج الفينومينولوجي المبادئ والتطبيقات، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأخوة منتوري قسطنطينة، الجزائر، المجلد 1، العدد 42، 2014.
15- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الانصاري الروفيعي الإفريقي أبن منظور، لسان العرب، ج4، ط3، دار صادر، بيروت، 2024.
16- محمود زيدان ، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1977.
17- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.